العدد ٤٩/٢٠١٤

الأحد ٧ كانون الأول

تذكار أبينا الجليل في القديسين

أمبروسيوس أسقف ميلان

اللحن الأول

إنجيل السَحَر الرابع

الرسالة

(أفسس ٥: ٨–١٩)

يا إخوةُ اسلُكوا كأولادٍ للنور* (فإنَّ ثمرَ الروحِ هو في كلِّ صلاحٍ وبرٍّ وحقٍّ)* مختبرينَ ما هو مَرضِيٌّ لدى الرب* ولا تشتركوا في أعمالِ الظُلمةِ غيرِ المثمِرةِ بل بالأحرى وبِّخوا عليها* فإنَّ الأفعالَ التي يفعلونها سِرًّا يقبحُ ذكرها أيضاً* لكنَّ كلَّ ما يُوبَّخُ عليه يُعلَنُ بالنور* فإنَّ كلَّ ما يُعلنُ هو نورٌ* ولذلك يقولُ استيقِظْ أيُّها النائمُ وقُمْ من بينِ الأمواتِ فيُضيءَ لك المسيح* فانظُروا إذاً أن تسلُكوا بحذرٍ لا كجُهَلاءَ بل كحُكماءَ* مفتدينَ الوقتَ فإنَّ الأيامَ شرِّيرةٌ* فلذلك لا تكونوا أغبياءَ بل افهموا ما مشيئةُ الرب* ولا تسكَروا بالخمرِ التي فيها الدعارةُ بل امتلئوا بالروح* مكلِّمين بعضكم بعضاً بمزاميرَ وتسابيحَ وأغانيَّ روحيَّةٍ مرنِّمين ومرتلين في قلوبكم للرب.

حول الرسالة

قد يتساءل المرء لماذا تعيد الكنيسة القراءات نفسها كلّ سنة، وفي التواريخ نفسها، فيظنُّ الإنسان أنّه لا حاجة لذلك كونه قد حفظها مع مرور الوقت. إلاّ أنّه بذلك يسهى عن ذهنه أنّ هذه القراءات هي كلمة الله المحيية، أي إنّها الغذاء الأساسي لحياته، ومن دونها لا يمكنه أن يحيا. إضافة إلى ذلك، إنّ هذه القراءات هي تذكير للمؤمن بضرورة السلوك وفق وصايا الله حتّى يشترك في ملكوته السماوي. فهي إذاً الزّاد الأسبوعي الذي تدعوه الكنيسة إلى الاغتذاء منه خلال الأسبوع، ليصل إلى آخره. عندئذ يراقب مسيرته ليتأكّد من أنّه سلك بحسب الوصيّة، وينال زاداً آخَر يوم الأحد الذي وصل إليه، وذلك حتّى آخر نسمة من حياته.

في المقطع من رسالة القدّيس بولس الرسول إلى أهل أفسس (٥: ٨–١٩)، الذي يُقرأ على مسامعنا اليوم، دعوة صريحة إلى السلوك بحسب وصايا الله «كأولاد للنور». هي دعوة إذاً الى السلوك في الطريق الذي خطّه لنا الرب. إلّا أنّ هذا الطريق محفوف بالمخاطر، وقد ينزلق الإنسان إذا خطا خطوة ناقصة، أو إذا حاد عن الطريق الصحيح، فيفقد وجهته الصحيحة ويؤدي به الأمر الى الابتعاد عن الله، أي يقع في الخطيئة. لذلك يدعونا الرسول بولس إلى أن نسلك «بحذر لا كجهلاء بل كحكماء، مفتدين الوقت، فإنّ الأيّام شريرة»، لأنّنا إن خطئنا خلال مسيرتنا ووافتنا المنيّة قبل أن نتوب، خسرنا كلّ شيء وكانت نهايتنا في الجحيم، في حالة الغربة عن الله.

لكن، لماذا هذه الدعوة المتكرّرة؟ هذا يعود إلى أنّ السلوك في طريق الربّ ليس بالأمر السهل طالما الإنسان متجذّر في أنانيّته، الأمر الذي قد ينتج عنه اقتراف أعمال يصفها الرسول بولس بأنّها «أعمال الظلمة غير المثمرة»، والتي يصفها في الآيات السابقة بأنّها عبادة أوثان: «وأمّا الزنا وكلّ نجاسة أو طمع فلا يُسَمَّ بينكم كما يليق بالقدّيسين، ولا القباحة، ولا كلام السفاهة والهزل التي لا تليق، بل بالحري الشكر. فإنّكم تعلمون هذا أنّ كلّ زان أو نجس أو طمّاع، الذي هو عابدٌ للأوثان، ليس له ميراث في ملكوت المسيح والله» (أف٥: ٣–٥). ويسمّيها أعمالاً غير مثمرة لأنّ الثمر يدلّ على الحياة، وعلى استمراريّتها،

أمّا هذه فإنّها تؤدي إلى الموت. كما يسمّي من يقوم بها بعابدٍ للأوثان، لأنّه يستبدل اللهَ الخالقَ بالشهوة والمال. فقد يؤدّي اعتقاد الإنسان بأنّ سعادته تقوم على الشهوة والمال إلى التضحية بالآخر من أجل إسعاد نفسه، فالزنا يقوم على استخدام الآخر، والطمع يقوم على الاستحواذ على خيرات الآخرين، وهكذا يكون الآخرون بمثابة ذبائح على مذبح الإلهة الشهوة والإله المال.

إلاّ أنّ طريق العودة ليس مقطوعاً، فالإنسان مدعو إلى رفض أعمال الظلمة والتوجّه إلى النور، حيث يصبح الإنسان ابنًا للنور ويعود إلى الحياة: «ولذلك يقول استيقظ أيّها النائم وقم من بين الأموات فيضيء لك المسيح» (٥: ١٤). فالخطيئة كالمرض الذي طالما لم يُكشف عنه لا يمكن مداواته، لذلك يربط الرسول بولس الخطيئة بالظلمة، حيث تنمو وتتجذّر في نفس الإنسان. من هنا على الإنسان الذي يقرّر العودة أن يُظهر أعمال الظلمة للعيان ويعرّضها للنور حتّى يتمكّن من التخلّص منها، وذلك بالاعتراف بها أمام الكاهن الذي يمثّل الجماعة التي أساء إليها بسبب خطيئته.

ومع أنّ الربّ يسوع أظهر لنا الطريق، إذ هو نفسه الطريق والحقّ والحياة، ومع أنّ الرسول بولس بيّن لنا الفرق بين الظلمة والنور، إلاّ أنّ الإنسان قد يبقى في حالة جهله، وكأنّه لا يريد العودة إلى النور، إلى الحياة. لذلك ينبّهنا الرسول إلى أن نتصرّف بحكمة، وألاّ نكون أغبياء، أي بلا فهم. الأمر واضحٌ، وما على الإنسان إلاّ أن يفهم مشيئة الله، وأن يقوم بما يرضي الربّ.

أن نسلك بحسب مشيئة الله يعني أن نسلك في المحبّة، على خطى الربّ يسوع: «فكونوا متمثّلين بالله كأولاد أحبّاء، واسلكوا في المحبّة كما أحبّنا المسيح أيضًا وأسلم نفسه لأجلنا، قربانًا وذبيحةً لله رائحةً طيّبة» (أف٥: ١-٢). إنّ سلوك المحبّة هذا يعطي ثمرًا، ويسمّيه الرسول بولس بثمر الروح الذي «هو في كلّ صلاح وبرّ وحقّ» (٥: ٩)، وفي رسالة أخرى يعطي الرسول تعريفًا لثمر الروح بأنّه «المحبّة والفرح والسلام وطول الأناة واللطف والصلاح والإيمان والوداعة والعفاف» (غل ٥: ٢٢-٢٣) على سبيل المثال لا الحصر. ويظهر أن هذه الصفات هي نتيجة التوجّه بمحبّة نحو الآخرين.

ثمر الروح ينتج عن سكنى روح الله فينا، وعندما نمتلئ بالروح ونختبر ما هو مرضيّ لدى الربّ، ونفرح بنور الربّ الذي يملأ حياتنا، يصبح من الغباء العودة إلى الظلمة. علينا إذًا لا أن ننتبه إلى أنفسنا فقط، بل أن ننبّه الآخرين لكي لا يسقطوا هم أيضًا في أعمال الظلمة. ويطلب الرسول بولس من كلّ واحد أن يوبّخ من يسلكون في طريق الخطيئة. هذا لا يعني أن ندين الآخرين ونصفهم بالخطأة، بل التوبيخ هنا يقوم على محبّة الآخرين، لأنّنا ندرك عواقب ما يقومون به من أعمال لا ترضي الله، ونعرف بالمقابل أنّ طريق الرب هو طريق الحياة. عندئذٍ نلتقي جميعنا حول الربّ، وتكون لغتنا هي تسبيح الربّ وشكره على محبّته الفائقة لنا، إذ مات المسيح من أجل خطايانا ليخلّصنا: «مكلّمين بعضكم بعضًا بمزامير وتسابيح وأغانّي روحيّة، مرنّمين ومرتّلين في قلوبكم للربّ» (أف٥: ١٩).

الإنجيل

(لوقا ١٣: ١٠-١٧)

في ذلك الزمان كان يسوعُ يعلّمُ في أحدِ المجامعِ يومَ السبتِ* وإذا بامرأةٍ بها روحُ مرضٍ منذ ثماني عَشْرَةَ سنةً وكانت منحنيةً لا تستطيعُ أن تنتصبَ البتَّةَ* فلمَّا رآها يسوعُ دعاها وقال لها إنَّك مُطلَقةٌ من مرضِكِ* ووضع يدَيهِ عليها وفي الحال استقامَتْ ومَّجدتِ اللهَ* فأجاب رئيسُ المجمع وهو مغتاظٌ لإبراءِ يسوعَ في السبتِ وقال للجمع هي ستَّةُ أيَّامٍ ينبغي العملُ فيها. ففيها تأتون وتَسْتَشفون لا في يوم السبت* فأجاب الربُّ وقال يا مُرائي أليس كلُّ واحدٍ منكم يحُلُّ ثورَهُ أو حمارَهُ في السبتِ مِنَ المذودِ وينطلِقُ به فيسقيهِ* وهذه وهي ابنةُ إبرهيمَ ربَطَها الشيطانُ منذ ثماني عَشرةَ سنةً أمَا كان ينبغي أن تُطلقَ من هذا الرباطِ يومَ السبت* ولمَّا قال هذا خَزِيَ كلُّ مَن كان يُقاومه وفرح الجمعُ بجميع الأمور المجيدةِ التي كانت تصدر منه.

تأمل

«ولا تسكروا بالخمر».

لا شيء أحبَّ إلى الشيطان من الشراهة والسكر واللذات المادية عموماً، والتي تحوّل الإنسان إلى خنزير أو أسوأ، لأنّ الحيوانات غير الناطقة لا تأكل ولا تشرب أبداً أكثر من حاجتها، بينما الإنسان العاقل والمكرَّم على صورة الله يصبح لامنطقياً ويتخطّى الحدود، ولو كانت لديه هو نفسه حيوانات فإنه لا يجبرها أبداً على أن تأكل وتشرب أكثر ممَّا تريد، وإن سألته: «لماذا؟» سيُجيبك: «لكي لا يُصيبها مكروه وتتضايق»، لكنه لا يُعير هذا الاهتمام لنفسه، وهكذا يعاني دائماً لأنّ نتائج الشراهة والسكر - وخصوصاً السكر - تستمر كثيراً. فكما، بعد أن تعبر الحمّى يبقى الضُعف، هكذا بعد أن يعبر السكر يبقى الغثيان في الجسد والنفس. الجسد الضعيف هو كالمشلول وكمركب غارق، والنفس الأضعف، عندما يوجد الجسد في هذه الحالة، تثير عاصفة جديدة وتجعل الرغبة أكثر اضطراماً. أخجل أن أقول كم من السيئات يسبّبها السُكر للناس، وأترك الحكم لضميركم الذي يعرفها بشكل أفضل.

مَنْ أسوأ من السكران الذي يتجوّل مترنحاً هنا وهناك ويصبح سبباً لشتم الحقّ لا يخاف من أن يكون غريبًا عن محيطه مثلما كان معلّمه: «ليسوا من العالم كما أنّي أنا لستُ من العالم» (يو ١٧: ١٦). لولا أنّ النّجم كان غريبًا عن سائر نجوم السّماء لَما استطاع أن يجذب المجوس إلى المسيح.

نتعلّم من المجوس، ملوك المشرق (مت ٢: ١-١٢) قابليّة تقبُّل الغريب وعدم الحكم عليه قبل اختباره، وصولاً إلى التّمييز بين الخير والشرّ. فقد سار الملوك الثلاثة وراء النّجم إلى مجهول، لكنّهم لم يخافوا إذ إنّ ثقافتهم وعِلمهم أوصلاهم إلى تمام اليقين، إلى يسوع ملك الملوك وربّ الأرباب. سجد الملوك لطفلٍ أخبرَهم عِلمُهُم (دراسة الكواكب والنّجوم) أنّه ملكٌ عظيم، بينما نحن نتكبَّر ونجعل علومنا تُبعدنا عن الخالق بحجّة أنّ العلم يتعارض مع الله، الأمر الّذي حدث مع هيرودس الّذي استعمل عِلم الشّيوخ والكهنة ورؤساء الكهنة ومعرفتهم بالكتب، إضافةً إلى علم المجوس، لكي «يطلب نفس الصبيّ ليهلكه» (مت ٢: ١٣). هنا، الملوك الثلاثة، بتواضعهم ازدادت معرفتهم، فوصلوا إلى التّمييز الّذي لم يتحلَّ به آدم وحوّاء في معرفة الخير والشرّ. عرفوا أنّ هيرودس كذّاب وأنّ المسيح هو الحقّ والحياة، فاختاروا الملِك السّماوي ورذلوا المَلِك الأرضيّ.

نتعلّم من يوسف كيف نحمي الكلمة. طبعًا لا يحتاج الربّ قوّتنا الأرضيّة ولا دفاعنا عنه، لكن واجبنا هو أن نحمي تعاليم الربّ من سموم المضِلّين، إذ إنّ البِدَع والشِّيَع تكثر هنا وهناك وليس مَن يردعها بحجّة حريّة المعتقد. لا شيء يردع الذّئاب الخاطفة سوى تمسُّكنا بالإيمان القويم وحفظه وتعلُّمه وتعليمه، وهكذا نكون في صدد حماية الكلمة من

مدرسة الميلاد

أيّام قليلة تفصلنا عن عيد تجسّد كلمة الله الّذي صار مثلنا من أجل أن يرفعنا إليه ويخلّصنا. هذه الأيّام القليلة يجب أن تجعلنا نفكّر مليًّا بهذا الحدث الخلاصيّ، وكيف نكون مستحقّين لأن يأتي مَلِكُ الملوك ويسكن بيننا، ولا مدرسة أفضل من الكتاب المقدّس لنتعلّم الحصول على هذا الاستحقاق.

تكلّمنا في عدد سابق على كيفيّة عيش المذود، أمّا اليوم فسنتعلّم من باقي عناصر سرد الميلاد الكتابي كيف نستقبل المسيح الآتي - «عمّانوئيل» الذي تفسيره الله معنا (متى ١ :٢٣).

نتعلّم من الرّعاة السّاهرين «يحرسون حراسات اللّيل على رعيّتهم» (لو ٢:٨) كيف تُستَقى الرّعاية من المسيح. لماذا كان الرّعاة أوّل مَن بُشِّروا بميلاد يسوع؟ لأنّه هو راعي الرّعاة، وهو الرّاعي الصّالح الّذي «يبذل نفسه عن الخراف» (يو ١٠: ١١). بما أنّ التجسّد هو الخطوة الأولى من درب الجلجلة وصولاً إلى القيامة، كان لا بدّ من أن يتعلّم كلّ الّذين يعتبرون أنفسهم رعاةً كيف يطوّرون رعايتهم؛ فالسّهر على الرعيّة واجب، لكنّه لا يكفي إذا لم «يبذل» الرّاعي نفسه عنها.

نتعلّم من النَّجم كيف نكون مشرقين (مت ٢: ٢)، إلاّ أنّ إشراقنا يجب أن يكون غريبًا كما كان إشراق النّجم الّذي ظهر للمجوس غريبًا، وغرابته هذه هي التي لفتتهم لكي يسيروا خلفه ويصلوا إلى المسيح. نحن نعيش زمنًا نخاف فيه من أن نكون على طبيعتنا، نخاف من الظهور عكس المجتمع، من الشهادة للمسيح لئلاّ يُقال إنّنا «أغبياء» أو «مجانين». المسيحيّ

الهيرودسيّين الجدد.

نتعلّم من مريم الصّمت الّذي يجب أن يكون رفيق المعرفة. نحن دائمًا نتفاخر بمعرفتنا، ونتفلسف على كلّ مَن هم حولنا، لكنّ العذراء كانت تعاين العظائم وتسمع الكلام الإلهيّ وتشاهد ما لم ولن نشاهده نحن، ومع ذلك كانت تحفظ كلّ شيء في قلبها (لو ٢: ١٩). الصّمت لا يعني أنّنا جهّال، بل أنّنا أذكياء ومتواضعون على الرّغم مِمّا سيقوله النّاس عنّا.

نتعلّم من هيرودس أنّ الغضب والحنق والمجد الباطل تجعلنا نفقد السيطرة على قراراتنا فنصل حتّى إلى القتل، وهذا كلّه لا يمكنه أن يُبعِدَ عنّا الموت مثلما كانت نهاية هيرودس. هيرودس هو مثل عمَّن لا يكون المسيح ساكنًا فيهم، وعمَّن لا يريدون أن يتقبّلوا المسيح مولودًا في داخلهم، ومَن لا يقبل المسيح ـ الحياة لا تكون نهايته سوى الموت، بينما الأطفال الّذين ماتوا بسبب عمى هيرودس بالسّلطة والجاه فقد ورثوا الحياة الأبديّة ومجّدهم الربّ بأكاليل الشّهادة (٢٩ كانون الأوّل).

في النّهاية، إذا أردنا أن نكون تلاميذ للربّ، نتعلّم من مدرسته ونرتوي من كلامه، ما علينا سوى أن ننهل من نبع الكتاب المقدّس ونلتجئ إلى الكنيسة وآبائها من أجل الحصول على فهمٍ أفضل لتلك الكلمة الإلهيّة.

تصيير راهبة مبتدئة

في مناسبة عيد القديسة كاترينا ترأس سيادة راعي الأبرشية المتروبوليت الياس خدمة الغروب مساء الرابع والعشرين من تشرين الثاني ٢٠١٤ في كنيسة القديسة كاترينا في دير زهرة الإحسان. وخلال الصلاة تمّ تصيير الأخت كارول راهبة مبتدئة لتكون في المستقبل بنعمة الرب في عداد الأخوات الراهبات في دير القديسة كاترينا ـ زهرة الإحسان. باركها الرب في مسيرتها الجهادية وجعلها مثالاً يحتذى به.

كذلك ترأس سيادته خدمة القداس الإلهي يوم الثلاثاء في ٢٥ تشرين الثاني.

من أقوال الآباء

إن تشويه سمعة الآخرين لهو شرٌّ عظيم. كما تعمل الدفّة الصغيرة على توجيه السفينة، كذلك يقود اللسان الإنسان إمّا إلى الصلاح أو إلى الشرّ. لقد وبّخ الآباء القدّيسون بشدّةٍ على إدانة خطايا الآخرين أو رذائلهم أو عاداتهم الشريرة.

عندما ندين أخانا نضع أنفسنا في خطيئة كبيرة. وعندما نحمي أخانا (نستُرُه) فإن الربّ سوف يقينا من الخطايا الكبيرة.

عندما نفضح أخانا (نَشي به) فإننا نُبعد عنا رحمة الرب التي تظلّلنا؛ وعندها نُسلَّم لأن نسقط في الشيء ذاته فنتعلّم أننا ضعفاء، وأن رحمة الله تسترنا. إن الإنسان الذي يحرس لسانه يحفظ نفسه من الخطايا الكبيرة والسقطات.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb

عطايا الله من قِبَل الأغبياء؟ لأنني أسمع الكثيرين عندما يرون أعمال السكارى يقولون: «لكان أفضل ألا توجد الخمر». الآخرون يخطئون وأنت تدين عطايا الله؟ هل الخمرة هي التي تفعل السوء أيها الإنسان؟ لا ليست هي بل إفراط أولئك الضّالين الذين يتلذّذون بها بطريقةٍ سيئة. لنقُل إذاً: «يجب ألا يوجد سُكر» وليس «ليت الخمر ما وُجدت»، لأنك إن سلكت بهذا التفكير قد تقول: «ليت السكين لم يوجد كي لا يقتل القتلة، وليت الليل لم يوجد لكي لا يسرق السارقون، ولا وُجدت المرأة لكي لا نسقط في الزنى»، وهكذا باختصار ستتمنى ألا يوجد شيء.

إذاً، لا تدِن الخمر بل السُكر وكلّ ما يحوّل الخير إلى شرّ. ذاك عندما تجده هادئاً اقترب إليه وقُل له: «أعطانا الله الخمر لكي نفرح وليس لنرتكب المعاصي، ولكي نضحك أضحوكة، ولكي نحافظ على حياتنا وليس لنمرض، ولكي نقوّي الجسد وليس لنُضعف أنفسنا».

القديس يوحنا الذهبي الفم